دَوَالَــيْــكَ يَــا سَــيْــفَــهَــا دَوْلَــةً
وَأَمْــرَكَ يَــا خَــيْــرَ مَــنْ يَــأْمُــرُ(١)
أَتَــانِــي رَسُــولُــكَ مُــسْــتَــعْــجِــلاً
فَــلَــبَّــاهُ شِــعْــرِي الَّــذِي أَذْخَــرُ(٢)
وَلَــوْ كَــانَ يَــوْمَ وَغَــىً قَــاتِــمــاً
لَــلَــبَّــاهُ سَــيْــفِــي وَالأَشْــقَــرُ(٣)
فَــلَا غَــفَــلَ الــدَّهْــرُ عَــنْ أَهْــلِــهِ
فَــإِنَّــكَ عَــيْــنٌ بِــهَــا يَــنْــظُــرُ(٤)

الناس الظلام وأنت النهار

قال وقد استبطأ سيف الدولة مدحه وتنكر لذلك: [المتقارب]

أَرَى ذٰلِــكَ الْــقُــرْبَ صَــارَ ٱزْوِرَارَا
وَصَــارَ طَــوِيــلُ الــسَّــلَامِ ٱخْــتِــصَــارَا(٥)
تَــرَكْــتَــنِــي الْــيَــوْمَ فِــي خَــجْــلَــةٍ
أَمُــوتُ مِــرَاراً وَأَحْــيَــا مِــرَارَا(٦)

= في الحرب أقدر يمتلك زمام أمره ويصبر عند الملمات واشتداد المعركة. وقد اصطبغت الرماح بلون الموت، أفلا يقدر على كتمان سرّ؟!

(١) دالت الدولة: تحوّلت. يُخاطب الشاعر ممدوحه بأن أمور دولته آلت إليه جيلاً بعد جيل، فأمر وأمرك مطاع وبيدك الأمر والنهي، فأنت خير من يأمر وينهى.

(٢) و (٣) أذخر: أدّخر، أخبّئ. يُعلن الشاعر استعداده لتلبية أمر الأمير، ولقد جاءه رسول الأمير، فإذا به يُسارع إلى تلبية مسعاه بشعر يحتفظ به لأجل رضى الأمير ولو كان يدعوه لمرافقته في القتال للبى النداء دون تردّد وبيده سيفه وجواده الأشقر، ممَّا يعني أن الشاعر على استعداد للتضحية في سبيل رضى الآمر، مهما تكن النتائج.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٧١. يدعو الشاعر لممدوحه بدوام العمر والعافية التامة، إنه عين الدهر الساهرة على حماية رعيّته، وهو مصدر غناها لكرمه وجوده، فكل مصير الناس بيده، فإن اللّه تعالى يحميه ليصون من أوكله رعايتهم، وفي حال موته فإنهم سيضيعون.

(٥) و (٦) الازورار: الانحراف. يُعاتب الشاعر ممدوحه أنه ما عاد يهتمّ لأمره، بل إنه مال =

أُسَارِقُكَ اللَّحْظَ مُسْتَحْيِياً
وَأَزْجُرُ فِي الْخَيْلِ مُهْرِي سِرَارَا[١]
وَأَعْلَمُ أَنِّي إِذَا مَا اعْتَذَرْتُ
إِلَيْكَ أَرَادَ اعْتِذَارِي اعْتِذَارَا[٢]
كَفَرْتُ مَكَارِمَكَ الْبَاهِرَا
تِ إِنْ كَانَ ذٰلِكَ مِنِّي اخْتِيَارَا[٣]
وَلَكِنْ حَمَى الشِّعْرَ إِلَّا الْقَلِيـ
ـلَ هَمٌّ حَمَى النَّوْمَ إِلَّا غِرَارَا[٤]
وَمَا أَنَا أَسْقَمْتُ جِسْمِي بِهِ،
وَمَا أَنَا أَضْرَمْتُ فِي الْقَلْبِ نَارَا[٥]

= مزورًّا عنه، حتى باتت علاقتهما سطحية صوريّة، فالسلام يختصر على الشكليات دون الجوهر المعهود من قبل الممدوح، وهذا ما يزعج الشاعر ويُخجله في آن معاً لما يصدر منه ويُنكر عليه، ولقد لاحظ الناس ما هو فيه حتى بات كالميت، فهو يحيا إذا شاهد من ممدوحه أُنساً ولكن سرعان ما يتبدّد ذلك فيموت مرات عديدة تبعاً لمعاناته وعلاقة ممدوحه به.

(١) سارقه اللحظ: اختلسه خلسة. يصف الشاعر معاناته، إنه يُعاني من الحياء من ممدوحه لذلك يختلس النظر إليه دون أن يرفع عينيه ليتملّى من حسن طلعته، وهو يزجر جواده بصوت منخفض في المعركة مخافة استثارة غضب ممدوحه، وذلك أقرب إلى الإسرار منه إلى الزجر بصوت مسموع.

(٢) و (٣) يعتذر الشاعر من ممدوحه عن تأخير مدحه، والمناسبات تتوالى، والأفراح لغتها الشعر، لذلك فإن اعتذار الشاعر عن ذلك ذنب لم يقترفه، ممَّا ينكر عليه كي لا يُظن به الكذب الصراح، والحقّ أن الممدوح لم يقصّر، فعطاياه تنهال على الشاعر في كلّ وقت، وهو يعترف بذلك، ولكن الأمر لا يتعلّق به بل بجفاف قدرته الشعرية خلال تلك الفترة، وهذا شيء يمرّ به الشعراء في كلّ مكان وزمان، وليس المتنبي بدعاً في ذلك.

(٤) الغرار: النوم القليل والنقصان. يُبيّن الشاعر سبب جفاف شاعريته في تلك الآونة، إنها هموم نزلت بساحته حالت دونه ودون النوم؛ فنومه غرار، والهموم لا تنزاح عن كاهله، فمن الطبيعي أن يسيل من الشعر على لسانه نزر يسير.

(٥) ورد البيت في: دلائل الإعجاز، للجرجاني: ٨٤. أضرم: أشعل. ينأى الشاعر بنفسه =

فَــلَا تُــلْــزِمَــنِّــي ذُنُــوبَ الــزَّمَــانِ
إِلَــيَّ أَسَــاءَ وَإِيَّــايَ ضَــارَا[١]
وَعِــنْــدِي لَــكَ الــشُّــرُدُ الــسَّــائِــرَا
تُ لَا يَــخْــتَــصِــصْــنَ مِــنَ الأَرْضِ دَارَا[٢]
قَــوَافٍ إِذَا سِــرْنَ عَــنْ مِــقْــوَلِــي
وَثَــبْــنَ الْــجِــبَــالَ وَخُــضْــنَ الْــبِــحَــارَا[٣]
وَلِــي فِــيــكَ مَــا لَــمْ يَــقُــلْ قَــائِــلٌ
وَمَــا لَــمْ يَــسِــرْ قَــمَــرٌ حَــيْــثُ سَــارَا[٤]
فَــلَــوْ خُــلِــقَ الــنَّــاسُ مِــنْ دَهْــرِهِــمْ
لَــكَــانُــوا الــظَّــلَامَ وَكُــنْــتَ الــنَّــهَــارَا[٥]

= عن التقصير بواجبه؛ لقد حلّ بجسمه مرض أقعده عن قول الشعر، فضلاً عن أنه كان يُعاني لهيباً في قلبه حال دون إنشاده الشعر، والأمر ليس بيده.

(١) ينفي الشاعر عن نفسه تبعة ما حصل منه من التقصير غير المقصود، إنه الزمن وذنوبه كثيرة، فقد أساء للشاعر قبل أن يسيء إلى غيره فأنزل بساحته الهموم، وهذا ما حرمه من موهبته، لذا فإنه يلوم الزمن، ويطلب من ممدوحه ألّا يلومه.

(٢) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. الشرد: أي القصائد التي يسير بها الركبان ويتناقلونها إلى كلّ مكان. ولقاء الاعتذار يُعلن الشاعر عن مفاجأته؛ إنها قصائد في مدح ممدوحه سوف يسير بها الركبان وتتناقلها الألسن في كلّ مكان، ممجّدة فضائلة ومشيدة ببطولاته وبكرمه الذي أذاع صيته في البلاد.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. يروى «وكُنّ» بدلاً من «قوافٍ». مقولي: لساني. يفخر الشاعر بشاعريته، فأقواله قمينة بأن تسير بها الركبان فتنتقل خائضة البحار ومتخطية الجبال المرتفعة، ولن تحول دونها عوائق مهما كثرت ومهما صعب تجاوزها.

(٤) إنه التحدّي الأكبر والثقة بالنفس وبقدرته الشعرية العظيمة، فقد قال وسوف يُنشد شعراً لم يقله قائل ولن يقوله في المستقبل شاعر، ولسوف يتخطى شعره كلّ الحواجز حتى يصل إلى أبعد الحدود. وذلك مغالاة المتنبي وهو من نهل من معين من سبقه من كبار الشعراء.

(٥) وردت الأبيات الباقية من القصيدة في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١١١. يُفضل =

أَشَـــدُّهُـــمُ فـــي الـــنَّـــدَى هِـــزَّةً
وأبْـــعَـــدُهُـــمْ فـــي عَـــدُوٍّ مُـــغَـــارَا[١]
سَـــمَـــا بِـــكَ هَـــمِّـــيَ فَـــوْقَ الْـــهُـــمُـــومِ
فَـــلَـــسْـــتُ أعُـــدُّ يَـــسَـــاراً يَـــسَـــارَا[٢]
وَمَـــنْ كُـــنْـــتَ بَـــحْـــراً لَـــهُ يَـــا عَـــلِـــيْـــ
ـيُ لَـــمْ يَـــقْـــبَـــلِ الـــدُّرَّ إلَّا كِـــبَـــارَا[٣]

ما الدهر عندك

يهنئ سيف الدولة بعيد الفطر :

[البسيط]

أَلـصَّـوْمُ وَالْـفِـطْـرُ والأَعْـيَـادُ وَالْـعُـصُـرُ
مُـنِـيـرَةٌ بِـكَ حَـتَّـى الـشَّـمْـسُ وَالْـقَـمَـرُ[٤]
تُـرِي الأَهِـلَّـةَ وَجْـهـاً عَـمَّ نَـائِـلُـهُ
فَـمَـا يُـخَـصُّ بِـهِ مِـنْ دُونِـهَـا الْـبَـشَـرُ[٥]

= الشاعر ممدوحه على سائر الناس؛ إنهم ظلام فقدوا النور، والنور يتمثل بممدوحه، لضيائه وجمال طلعته وكرمه وحسن فعاله وبطولته.

(١) الندى: الكرم. الهزّة: أريحية الكرم. المغار: الإغارة على الأعداء. ومن أسباب تفضيل الشاعر ممدوحه أنه أشدّ الناس كرماً، ذو أريحية لا تتردّد عطاءً، فضلاً عن شجاعة نادرة جعلته يُغير على أعدائه فيحصدهم ويُبديهم عن بكرة أبيهم.

(٢) و (٣) سما: علا. اليسار: الغنى. الهمّ: الهمة. ينوّه الشاعر بأفضال ممدوحه عليه، لقد رفع من قيمة الشاعر حتى طال النجوم بيده رغم تمسكها بالسماء، فضلاً عمّا خصّه به من الإكرام والغنى، وهذا ما جعله يطلب المزيد من الإكرام والغنى، لذا فعلى من ينسب إلى البحر بما فيه من غنًى، فإنه لا يقبل من عليّ أي الممدوح؛ وهو بحر تتّسع أرجاؤه، إلّا الدرر الكبار لقدرته على منحها لمن أحبّ وأشبع فضيلة الإحسان إليه.

(٤) يمدح الشاعر سيف الدولة بمناسبة عيد الفطر؛ فالصوم والفطر والأعصر تستمدّ فرحتها ونورها من الممدوح، حتى الشمس بضوئها ودفئها وسموّها هي الأخرى تستمدّ ضوءها من الممدوح وكذلك القمر، فإنه يقتبس ضياءه الهادئ اللطيف من الممدوح.

(٥) الأهلة، الواحد هلال: مطلع الشهر القمري. النائل: العطاء. يُخاطب الشاعر =